



كن لطيفاً عند أول لقاء

انتشر في بعض أرياف مصر قديماً أن الرجل العروس قبيل ليلة عرسه يخبئ في غرفته قطاً.. فإذا دخل بزوجته إلى مكان فراش الزوجية.. حرك كرسياً ليخرج ذلك القط.. فإذا خرج أقبل العريس يستعرض قواه أمام زوجته.. وقبض على القط المسكين.. ثم خنقه وعصره.. حتى يموت بين يديه..!! **أتدري لماذا؟!** لأجل أن يطبع صورة الرعب والهيبة منه في ذهن زوجته من أول لقاء..

وأذكر أنني لما تخرجت من الجامعة.. وتعينت معيداً في إحدى الكليات.. أوصاني معلم قديم قائلاً: في أول محاضرة لك عند الطلاب.. شد عليهم.. وانظر إليهم بعين حمراء!! حتى يخافوا منك وتفرض قوة شخصيتك من البداية..

تذكرت هذا.. وأنا أكتب هذا الباب.. فأيقنت أن من الأمور المقررة عند جميع الناس أن اللقاء الأول في الغالب يطبع أكثر من ٧٠٪ من الصورة عنك.. وهي ما يسمى بالصورة الذهنية..

أذكر أن مجموعة من الضباط سافروا إلى أمريكا في دورة تدريبية.. كانت الدورة في التعامل الوظيفي.. في أول يوم.. حضروا إلى القاعة مبكرين.. جعلوا يتحدثون.. ويتعارفون.. دخل عليهم المدرس فجأة فسكتوا.. فوقعت عين المدرس على طالب لا يزال مبتسماً.. فصرخ به:

◀ لماذا تضحك؟

◀ قال: عذراً.. ما ضحكت..

◀ قال: بلى تضحك..

ثم جعل يؤنبه:

أنت إنسان غير جاد.. المفروض أن تعود لأهلك على أول رحلة طيران.. لا أتشرف بتدريس مثلك..

والطالب المسكين قد تلون وجهه.. وجعل ينظر إلى مدرسه.. ويلتفت إلى زملائه.. ويحاول حفظ ما تبقى من ماء وجهه..

ثم حذق المدرس فيه النظر عابساً وأشار إلى الباب وقال: أخرج..

قام الطالب مضطرباً.. وخرج..

نظر المدرس إلى بقية الطلاب وقال:

أنا الدكتور فلان.. سأدرسكم مادة كنا.. ولكن قبل أن ابدأ الشرح.. أريدكم أن تعبئوا هذه الاستمارة.. دون كتابة الاسم..

ثم وزع عليهم استمارة تقييم للمدرس.. فيها خمسة أسئلة:

- ما رأيك بأخلاق مدرسك؟
- ما رأيك بطريقة شرحه؟
- هل يقبل الرأي الآخر؟
- ما مدى رغبتك في الدراسة لديه مرة أخرى؟
- هل تفرح بمقابلته خارج المعهد؟



كان أمام كل سؤال منها.. اختيارات: (ممتاز.. جيد.. مقبول.. ضعيف.. عبا)
الطلاب الاستمارة وأعادوها إليه.. وضعها جانباً.. وبدأ يشرح تأثير فن التعامل في الجو الوظيفي..

ثم قال: أوه! .. لماذا نحرم زميلكم من الاستفادة..

فخرج إليه.. وصافحه وابتسم له.. وأدخله القاعة.. ثم قال:

يبدو أنني غضبت عليك قبل قليل من غير سبب حقيقي.. لكنني كنت أعاني من مشكلة خاصة.. أدت بي أن أصب غضبي عليك..

فأنا أعتذر إليك.. فأنت طالب حريص.. يكفي في الدلالة على حرصك تركك لأهلك وولديك ومجيتك.. أشكرك.. بل أشكركم جميعاً على حرصكم.. ومن أعظم الشرف لي أن أدرس مثلكم..

ثم تلمظ معهم وضحك قليلاً.. ثم أخذ مجموعة جديدة من الاستمارات وقال:

ما دام أن زميلكم فاتته تعبئة الاستمارة فما رأيكم أن تعبئوها كلكم من جديد..

ووزع عليهم الأوراق.. فعبئوها وأعادوها إليه..

فأخرج الاستمارات التي عبئوها في البداية.. وأخرج الأخيرة وجعل يقارن بينها..

فإذا الخانة الخاصة بضعيف في التعبئة الأولى كلها مليئة.. أما الثانية فليس فيها ضعيف ولا مقبول.. أبداً.. فضحك وقال لهم

كان ما رأيتم دليلاً عملياً على تأثير التعامل السيء على بيئة العمل بين المدير وموظفيه.. وما فعلته بزميلكم كان تمثيلاً أردت أن أجريه أمامكم..

لكن المسكين صار ضحية.. فانظروا كيف تغيرت نظرتكم بمجرد تغير تعاملتي معكم.. هذا من طبيعة الإنسان.. فلا بد من مراعاته.. خاصة مع من تلتقي بهم مرة واحدة فقط..



كان المعلم الأول ﷺ يأسر قلوب الناس من أول لقاء.. بعد فتح مكة.. تمكّن الإسلام.. وبدأت الوفود تتسابق إلى رسول الله ﷺ في المدينة.. قديم وفد (عبد القيس).. على رسول الله ﷺ.. فلما رأهم على رحالهم قبل أن ينزلوا.. بادرهم قائلاً:



◀ مرحباً بالقوم.. غير خزايا.. ولا ندامى..

فاستبشروا.. وتواثبوا من رحالهم.. وأقبلوا إليه يتسابقون للسلام عليه.. ثم قالوا:

◀ يا رسول الله.. إن بيننا وبينك هذا الحي من المشركين من قبيلة مضر.. وإنّا لا نصل إليك إلا

في الشهر الحرام.. حين يقف القتال.. فحدثنا بجميل من الأمر.. إن عملنا به دخلنا الجنة.. وندعوه من وراءنا..

◀ فقال ﷺ: أمركم بأربع.. وأنهاكم عن أربع.. أمركم بالإيمان بالله.. وهل تدرون ما الإيمان بالله؟

◀ قالوا: الله ورسوله أعلم..

◀ قال: شهادة أن لا إله إلا الله.. وإقام الصلاة.. وإيتاء الزكاة.. وأن تعطوا الخمس من الغنائم.. وأنهاكم عن أربع: عن نبيذ في الدباء.. والنقير والحنتم.. والمزفت..^(١)

وفي موقف آخر.. كان ﷺ مسافراً مع أصحابه ليلة.. فساروا في ليلهم مسيراً طويلاً.. حتى إذا كان آخر الليل.. نزلوا في طرف الطريق ليناموا.. فغلبتهم أعينهم حتى طلعت الشمس وارتفعت..

فكان أول من استيقظ من منامه (أبوبكر).. ثم استيقظ (عمر).. فقعد (أبوبكر) عند رأسه ﷺ.. فجعل يُكبر ويرفع صوته.. حتى استيقظ النبي ﷺ..

(١) رواه البخاري.

فنزل وصلى بهم الفجر.. فلما انتهى من صلاته التفت فرأى رجلاً من القوم لم يصل معهم.. فقال:

◀ يا فلان.. ما يمنعك أن تصلي معنا؟

◀ قال: أصابتني جنابة.. ولا ماء..

فأمره ﷺ أن يتيمم بالصعيد.. ثم صلى.. ثم أمر ﷺ أصحابه بالارتحال.. وليس معهم ماء.. فعطشوا عطشاً شديداً.. ولم يقفوا على بئر ولا ماء..

قال (عمران بن حصين): فبينما نحن نسير فإذا نحن بامرأة على بعير.. ومعهما مزداتان (قربتان).. فقلنا لها:

◀ أين الماء؟!

◀ قالت: إنه لا ماء..

◀ فقلنا: كم بين أهلك وبين الماء؟

◀ قالت: يوم وليلة..

◀ فقلنا: انطلقني إلى رسول الله ﷺ..

◀ قالت: وما رسول الله..!!

فسقناها معنا طمعاً أن تدلنا على الماء.. حتى أقبلنا بها إلى النبي ﷺ.. فسألها عن الماء.. فحدثته بمثل الذي حدثتنا به.. غير أنها شكت إليه أنها أم أيتام.. فتناول ﷺ مزادتها.. فسمى الله.. ومسح عليها.. ثم جعل ﷺ يفرغ من قربتها في أنيتنا..

فشربنا عطاشاً أربعين رجلاً.. حتى روينا.. وملأنا كل قربة معنا.. ثم تركنا قربتها.. وهما أكثر ما تكون امتلاءً.. ثم قال ﷺ:

◀ هاتوا ما عندكم.. أي طعام..

فجمع لها من كسر الخبز والتمر.. فقال لها: اذهبي بهذا معك لعيالك..
واعلمي أنا لم نرزأك من مائك شيئاً.. غير أن الله سقانا..

ثم ركبت المرأة بعيرها.. مستبشرة بما حصلت من طعام.. حتى وصلت أهلها.. قالت: أتيت أسحر الناس.. أو هو نبي كما زعموا.. فعجب قومها من قصتها مع رسول الله ﷺ.. فلم يمر عليهم زمن حتى أسلمت وأسلموا..^(١)

نعم.. أعجبت بتعامله وكرمه معها من أول لقاء..

وفي يوم أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ.. فسأله
مالاً.. فأعطاه النبي ﷺ قطيعاً من غنم بين جبلين..
فرجع الرجل إلى قومه.. فقال: يا قوم.. أسلموا فإن
محمدًا يعطي عطاءً من لا يخاف الفاقة..

قال (أنس): وقد كان الرجل يجيء إلى رسول الله
ﷺ.. ما يريد إلا الدنيا.. فما يمسي حتى يكون دينه
أحب إليه.. وأعز عليه.. من الدنيا وما فيها^(٢)..



اقترح..

أول لقاء يطبع ٧٠٪ من الصورة
عنك.. تعامل كل إنسان
على أن هذا هو اللقاء
الأول والأخير بينكما..



(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم



الناس كمعادن الأرض

لو تأملت في الناس لوجدت أن لهم طبائع كطبائع الأرض.. فمنهم الرفيق اللين.. ومنهم الصلب الخشن.. ومنهم الكريم كالأرض المنبتة الكريمة.. ومنهم البخيل كالأرض الجدياء التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً.. إذن الناس أنواع.. ولو تأملت لوجدت أنك عند تعاملك مع أنواع الأرض تراعي حال الأرض وطبيعتها.. فطريقة مشيك على الأرض الصلبة.. تختلف عن طريقتك في المشي على الأرض اللينة.. فأنت حذر متأن في الأولى.. بينما أنت مرتاح مطمئن في الثانية.. وهكذا الناس..

قال ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم: الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب»^(١).. فعند تعاملك مع الناس انتبه - سواء تعاملت مع: قريب كأب وأم وزوجة وولد.. أو بعيد كجار وزميل وبائع..

ولعلك تلاحظ أن طبائع الناس تؤثر فيهم حتى عند اتخاذ قراراتهم.. وحتى تتيقن ذلك.. اعمل هذه التجربة: إذا وقعت بينك وبين زوجتك مشكلة.. فاستشر أحد زملائك ممن تعلم أنه صلب خشن.. قلْ له: زوجتي كثيرة المشاكل معي.. قليلة الاحترام لي.. فأشر عليّ..



كأنني به سيقول: الحريم ما يصلح معهن إلا العين الحمراء! دق خشمها! خل شخصيتك قوية عليها! كن رجلاً!

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح.

وبالتالي قد تثور أنت ويخرب عليك بيتك بهذه الكلمات.. أكمل التجربة..
اذهب إلى صديق آخر تعرف أنه هين لين لطيف.. وقل له ما قلت لأول.. ستجد
حتماً أنه يقول:



يا أخي هذه أم عيالك.. وما في زواج يخلو من مشاكل..
اصبر عليها.. وحاول أن تتحملها.. وهذه مهما صار فهي
زوجتك.. وشريكك في الحياة..

فانظر كيف صارت طبيعة الشخص تؤثر في آرائه
وقراراته.. لذلك نهى النبي ﷺ أن يقضي القاضي بين اثنين وهو عطشان! أو
جوعان! أو حابس لبول أو غائط! لأن هذه الأمور قد تغير نفسيته.. وبالتالي قد
تؤثر عليه في اتخاذ قراره في الحكم..

كان في الأمم السابقة رجل سفاح!! سفاح!! نعم سفاح.. لم يقتل رجلاً واحداً
ولا اثنين.. ولا عشرة.. وإنما قتل تسعاً وتسعين نفساً.. لا أدري كيف نجا من
الناس وانتقامهم.. لعله كان مخيفاً جداً إلى درجة أنه لا أحد يجرؤ على
الاقترب منه.. أو أنه كان يتخفى في البراري والمغارات.. لا أدري بالضبط..

المهم أنه ارتكب ٩٩ جريمة قتل!! ثم حدثته نفسه بالتوبة.. فسأل عن أعلم
أهل الأرض فدلوه على عابد في صومعته.. لا يكاد يفارق مصلاه.. يمضي وقته
ما بين بكاء ودعاء.. هين لين عاطفته جياشة..

دخل هذا الرجل على العابد.. وقف بين يديه ثم فجعه بقوله:

◀ أنا قتلت تسعاً وتسعين نفساً.. فهل لي من توبة؟

هذا العابد.. أظنه لو قتل نملة من غير قصد لقضى بقية يومه باكياً
متأسفاً.. فكيف سيكون جوابه لرجل قتل بيده ٩٩ نفساً.. انتفض العابد..
ولم يتخيل ٩٩ جثة بين يديه يمثلها هذا الرجل الواقف أمامه.. صاح
العابد:



◀ لا.. ليس لك توبة.. ليس لك توبة..

ولا تعجب أن يصدر هذا الجواب من
عابد قليل العلم.. يحكم في الأمور
بعاطفته..

هذا القاتل لما سمع الجواب.. وهو الرجل الصلب الخشن.. غضب واحمرت
عيناه.. وتناول سكينه ثم انهال طعناً في جسد العابد حتى مزقه.. ثم خرج ثائراً
من الصومعة.. ومضت الأيام.. فحدثته نفسه بالتوبة مرة أخرى.. فسأل عن
أعلم أهل الأرض.. فدله الناس على رجل عالم.. مضى يمشي حتى دخل على
العالم.. فلما وقف بين يديه فإذا به يرى رجلاً رزيناً يزينه وقار العلم والخشية..
فأقبل القاتل إليه سائلاً بكل جرأة:



◀ إني قتلت مائة نفس!! فهل لي من
توبة؟!

◀ فأجابه العالم فوراً: سبحان الله!! ومن
يحول بينك وبين التوبة؟!

جواب رائع!! فعلاً من يحول بينه وبين التوبة؟! فالخالق في السماء لا
تستطيع أي قوة في العالم أن تحول بينك وبين الإنابة إليه والانكسار بين
يديه.. ثم قال العالم الذي كان يتخذ قراراته بناءً على العلم والشرع.. لا
بناءً على طبيعته ومشاعره.. أول قل على عاطفته وأحاسيسه..

قال العالم: لكنك بأرض سوء.. عجباً! كيف علم؟ عرف ذلك بناءً على
كبر الجرائم وقلة المدافع له المنكر عليه.. فعلم أن البلد أصلاً ينتشر فيها
القتل والظلم إلى درجة أنه لا أحد ينتصر للمظلوم.. قال: إنك بأرض سوء..
فأذهب إلى بلد كذا وكذا فإن بها قوماً يعبدون الله فاعبد الله معهم..

ذهب الرجل يمشي تائباً منيباً.. فمات قبل أن يصل إلى البلد المقصود.. نزلت
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.. فأما ملائكة الرحمة فقالت: أقبل تائباً منيباً..

وأما ملائكة العذاب فقالت: **لم يعمل خيراً قط..** فبعث الله إليهم ملكاً في صورة رجل ليحكم بينهما.. فكان الحكم أن يقيسوا ما بين البلدين.. بلد الطاعة وبلد المعصية.. فأى أيتها كان أقرب.. فإنه لها.. وأوحى الله تعالى إلى بلد الرحمة أن تقاربي.. وإلى بلد المعصية أن تباعدي.. فكان أقرب إلى بلد الطاعة فأخذته ملائكة الرحمة..

حتى المفتين في المسائل الشرعية تجد مع الأسف أن بعضهم تغلبه عاطفته أحياناً.. أذكر أن أحد جيراني كان كثير الخلافات مع زوجته.. اشتد الخلاف يوماً فطلقها تطليقة ثم راجعها ثم اشتد أخرى.. فطلقها ثانية.. ثم راجعها.. وكنت كلما قابلته أحذره وأوصيه.. وأذكره بأبناؤه الصغار.. وأهميته اعتبارهم والعناية بهم.. وأكرر عليه: لم يبق لك إلا طليقة واحدة - الثالثة - فإن أوقعتها لم تحل لك مراجعتها إلا بعد زواجها من آخر وتطليقه لها.. فأتق الله.. ولا تخرب بيتك..

حتى جاءني يوماً متغير الوجه وقال: **يا شيخ تخاصمنا وطلقتها الثالثة!!** وهذا الكلام منه ليس غريباً.. إنما الغريب أنه قال بعدها: **ما تعرف لي شيخاً حبيباً يفتيني أن أراجعها!!** فعجبت منه.. ثم تأملت في الحال فاكتشفت ما تقرر قبل قليل أن كثيراً من الناس تختلف آراؤهم - وربما اختياراتهم الفقهية - تأثراً بعاطفته وطبيعته..



وبعض الناس تعلم من طبيعته أنه شديد الحب للمال.. فلا تعجب إذا رأيته يذل نفسه لأرباب الأموال.. يهمل أولاده وبيته لأجل جمعه.. يقتر على من يعول.. لا تعجب فهو طماع.. بل إن اتخاذه لقراراته وتبنيه لقناعاته ينبني كثيراً على هذه الطبيعة..

فإذا أردت أن تتعامل معه أو تطلب منه شيئاً فضع في نفسك قبل أن تتكلم أنه محب للمال.. فحاول أن لا تعارض هذه الطبيعة فيه حتى تحصل على ما تريد منه.. ولأن الأمثلة مفاتيح الفهوم.. خذ مثلاً:

نفرض أنك زرت مستشفى وقابلت مصادفةً صديقاً قديماً كان زميلاً لك أيام الجامعة.. فدعوته إلى وليمة غداء في بيتك فوافق.. فذهبت إلى السوق واشتريت حاجات ثم رجعت إلى البيت لتستعد وجعلت تتصل بعدد من زملائكم السابقين تدعوهم لمشاركتكم الوليمة ورؤية صاحبك..

من بين هؤلاء صديق - من البخلاء الذين استولى حب المال على قلوبهم - اتصلت به فرحب وحيًا.. فلما أخبرته عن الوليمة.. قال: آه.. يا ليتني أستطيع الحضور ورؤية فلان.. لكنني مرتبط بشغل هااام.. فبلغه سلامي.. ولعلي أراه في وقت آخر..

فأدركت أنت من معرفتك بطبيعته أنه يخشى أن يجيء.. فيضطر إلى أن يدعو الضيف إلى بيته ويصنع له وليمة تكلفه مبلغاً وقدره..!! وهو يريد التوفير.. فقلت له: عموماً هذا الضيف لن يبقى في البلد سيسافر بعد الغداء مباشرة.. فقال: آآ.. إذن سأؤجل شغلي وأتي لرؤيته!!



وبعض من تخالطهم من الناس يكون اجتماعياً أسرياً.. يحب أسرته.. لا يصبر على فراقهم.. اطلب منه أي شيء إلا أن يبتعد عن أولاده بسفر أو نحوه.. فلا تكلفه ما لا يطيق.. إلى غير ذلك من طبائع الناس..

يعجبني بعض الناس الذي يملك فن اصطياد جميع القلوب.. فإذا سافر مع بخلاء اقتصد حتى لا يحرجهم فأحبوه.. وإن جالس عاطفيين زاد من نسبه عاطفته فأحبوه.. وإن مشى مع فكاهايين مرحين ضحك ومزح وجاملهم فأحبوه.. يلبس لكل حالة لبوسها.. إما نعيمها وإما بؤسها..

وعُد بذاكرتك قليلاً معي.. وانظر إلى رسول الله ﷺ وقد أقبل بالكتائب لفتح مكة.. كان (أبوسفيان) قد خرج إلى النبي ﷺ قبل أن يدخل مكة.. فأسلم.. في قصة طويلة.. الشاهد منها أنه لما أسلم قال (العباس):



◀ يا رسول الله.. إن (أباسفيان) رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً..

◀ فقال ﷺ: نعم.. من دخل دار (أبي سفيان) فهو آمن.. ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.. ومن دخل المسجد فهو آمن..

فلما ذهب (أبو سفيان) لينصرف إلى مكة.. نظر إليه رسول الله ﷺ.. فإذا هو الذي استنفر قريشاً لحربه في بدر.. واستنفرها لحربه في أحد.. ثم استنفرها لحربه في الخندق.. وإذا رجل قائد.. قد طحنته الحرب وطحنها.. وإذا هو حديث عهد بإسلام.. فأراد رسول الله ﷺ أن يريه قوة الإسلام.. فقال ﷺ:

◀ يا عباس..

◀ قال: لبيك يا رسول الله..

◀ قال: احبس أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها.. أي أوقفه على طريق الجيش وهو يدخل مكة..

فخرج (العباس) بأبي سفيان.. حتى وقف معه بمضيق الوادي.. حيث تتدفق الكتائب كالسيل إلى مكة.. وجعلت الكتائب تمر عليه براياتها.. فلما مرت الكتيبة الأولى قال:

◀ يا (عباس) من هؤلاء؟

◀ قال (العباس): سليم..

◀ قال: مالي وسليم..!! ثم مرت به الثانية.. قال: يا (عباس) من هؤلاء؟

◀ قال: مزينة..

◀ قال: مالي ولمزينة..!! حتى نفذت الكتائب.. وما تمر كتيبة إلا سأل (العباس) عنها.. فإذا أخبره.. قال: مالي ولبني فلان..

حتى مرَّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء.. وفيها المهاجرون والأنصار.. قد غطوا أجسادهم بالحديد.. فلا يرى منهم إلا عيونهم.. فقال: سبحان الله يا (عباس)! من هؤلاء؟

◀ فقال (العباس): هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار..

◀ قال: هذا الموت الأحمر.. والله ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة..

ثم قال: والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلك ابن أخيك عظيماً!

◀ قال (العباس): يا (أبا سفيان).. إنها النبوة..

◀ فقال أبو (سفيان): فنعم إذن..

◀ فلما تجاوزتهم الخيل.. صاح به (العباس).. النجاء إلى قومك..

فمضى (أبو سفيان) سريعاً إلى مكة.. وجعل يصرخ بأعلى صوته:

◀ يا معشر قريش.. هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به.. فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن..

◀ قالوا: قاتلك الله! وما تغني عنا دارك؟

◀ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.. ومن دخل المسجد فهو آمن..

فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.. فلهه درُّ نبيه ﷺ كيف أثر في نفس أبي سفيان بما يصلح له..

ومما يحسن ههنا.. أن تعرف طبيعة الشخص ونفسيته قبل أن تتكلم معه.. فإن معرفة طبيعته.. وماذا يناسبه.. يفيدك عند التعامل أو الكلام معه..

في غزوة الحديبية.. خرج رسول الله ﷺ.. بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب.. كانوا ألفاً وأربعمائة.. ساقوا معهم الهدى وأحرموا بالعمرة ليعلم الناس أنهم إنما خرجوا زائرين لهذا البيت معظمين له.. وساق

ﷺ معه سبعين من الإبل.. هدياً إلى البيت الحرام.. وصلوا مكة.. فمنعتهم قريش من دخولها.. عسكر النبي ﷺ بأصحابه في موضع اسمه الحديبية.. جعلت قريش ترسل إليه الرجل تلو الرجل للتفاوض معه..



فبعثوا إليه أولاً (مكرز بن حفص).. كان (مكرز) رجلاً من قريش.. لكنه لا يلتزم بعهد ولا ميثاق.. بل هو فاجر غادر.. فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: هذا رجل غادر..

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ.. كلمه بما يصلح لمثله.. وأخبره أنه ما جاء يريد حرباً.. إنما جاء مُعتمراً.. ولم يكتب معه عهداً لأنه يعلم أنه ليس أهلاً لذلك رجع (مكرز) إلى قريش كما ذهب من غير نتيجة..



فبعثوا (حليس بن علقمة).. سيد الأحابيش.. وكان الأحابيش قوم من العرب سكنوا مكة تعظيماً للحرم وعناية بالكعبة.. فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا من قوم يتألهون.. أي يتعبدون.. فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه..

فلما رأى الهدي من إبل وغنم.. تسيل عليه من عرض الوادي في قلائده وحباله مربوطاً مهيناً ليذبح في الحرم.. قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله.. قد أضناه الجوع والعطش.. لما رأى سيد الأحابيش ذلك.. انتفض.. ولم يقابل رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى.. وكيف يمنع المعتمرون عن البيت الحرام!! رجع إلى قريش.. فقال لهم ذلك

◀ فقالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك..

◀ فغضب (الحليس).. وقال: يا معشر قريش.. والله ما على هذا حالناكم.. ولا على هذا عاهدناكم.. أئصد عن بيت الله من جاءه مُعظماً له؟ والذي

نفس الحليس بيده.. لتُخلن بين محمد وبين ما جاء له من العمرة .. أو
لأنفرون بالأحابيش نفرة رجل واحد..

◀ قالوا: مَهْ.. كُفَّ عنا.. حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به..

ثم أرادوا.. أن يبعثوا رجلاً شريفاً.. فاختروا (عروة بن مسعود الثقفي)..
فقال:

◀ يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا
جاءكم.. من التعنيف وسوء اللفظ.. وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد..



◀ قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم..

فخرج عروة.. وكان ملكاً في قومه.. له شرف
ومكانة.. وله ترفع على الناس.. فلما أتى رسول
الله ﷺ جلس بين يديه ثم قال:

◀ يا محمد!! أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم؟ إنها
قريش.. قد خرجت معها العوذ المطافيل.. قد لبسوا جلود النمر.. يعاهدون
الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً.. وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً..
وكان (أبوبكر) خلف النبي ﷺ واقفاً..

◀ فقال (أبوبكر): امصص بظر اللات! أنحن ننكشف عنه؟

تفاجأ ملك قومه بهذا الجواب.. فلم يتعود على مثله.. لكنه في الحقيقة كان
يحتاج إلى جرعة كهذه تخفض ما في رأسه من كبرياء.. فقال (عروة) متأثراً:

◀ من هذا يا محمد؟

◀ قال: هذا ابن أبي قحافة..

◀ قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكفأتك بها.. ولكن هذه بهذه..

وجعل (عروة) يلين العبارات بعدها.. ويكلم النبي ﷺ.. ويلمس لحية النبي ﷺ.. و(المغيرة بن شعبة الثقفي) واقف وراء رأس رسول الله ﷺ.. قد غطى وجهه الحديد.. فكان كلما قرب (عروة) يده من لحية رسول الله ﷺ.. قرعها (شعبة) بطرف السيف.. ثم يمدّها ثانية.. فيقرعها (شعبة) بطرف السيف.. فلما مدها الثالثة.. قال (شعبة):

◀ اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل ألا تصل إليك يدك.. أي أقطعها!!

◀ فقال (عروة): ويحك ما أفضك وأغلظك! ومن هذا يا محمد؟

◀ فتبسّم رسول الله ﷺ.. وقال: هذا ابن أخيك (المغيرة بن شعبة الثقفي)..

◀ فقال (عروة): أي غُدُرَ وهل غسلت سواك إلا بالأمس!

ثم قام (عروة) من عند النبي ﷺ.. وعاد إلى قريش.. فاسمع ما قال:

◀ قال: يا معشر قريش.. والله لقد رأيت كسرى وقيصر والنجاشي.. والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمداً..

فوقع في قلب قريش من الرهبة ما لم يقع من قبل.. فأرسلت قريش (سهيل بن عمرو).. فمضى يمشي إلى رسول الله ﷺ.. فلما رآه رسول الله ﷺ.. قال: سهل أمركم.. ثم كتبوا بينهم صلح الحديبية..

هذا جانب من معرفته ﷺ لأنواع الناس.. واستعمال المفتاح المناسب في التعامل مع كل أحد.. وهذه الأنواع من طباع الناس تلاحظها حتى في إلقاء الكلمات أو السوايف معهم.. ويمكنك ان تشاهد دليل ذلك بنفسك.. حاول أن تلقي قصة مبكية أمام جمع من الناس.. وانظر إلى أنواع تأثرهم..

أذكر أني ألقيت يوماً خطبة ضمنتها قصة مقتل (عمر) رضي الله عنه.. ولما وصلت إلى كيفية طعن (أبي لؤلؤة المجوسي) لعمر رضي الله عنه.. قلت - بصوت عال -: وفجأة خرج (أبو لؤلؤة) من المحراب على (عمر).. ثم طعنه ثلاث طعنات.. وقعت الأولى في صدره والثانية في بطنه.. ثم استجمع قوته وطعن بالخنجر تحت سترته..

ثم جرر الخنجر حتى خرجت بعض أمعائه.. لاحظت وأنا أنظر في الوجوه أن الناس تنوعوا في كيفية تأثرهم.. فمنهم من أغمض عينيه فجأة وكأنه يرى الجريمة أمامه.. ومنهم من بكى.. ومنهم من كان يستمع دون أدنى تأثر وكأنه ينصت إلى حكاية ما قبل النوم!!

قُلْ مثل ذلك لو عرضت قصة (حمزة) ﷺ لما وقع شهيداً في معركة أحد.. وكيف شقوا بطنه فأخرجوا كبده.. وقطعوا أذنيه.. وجدعوا أنفه.. وهو سيد الشهداء وأسد الله ورسوله..

وعموماً.. علمتني الحياة أن الناس لا يخلون من أن يوجد من بينهم غليظ غبي..!! لا يحسن ضبط عباراته.. ولا مجاملة السامعين..



أذكر أن رجلاً من هذا الصنف جلس مرة في مجلس عام.. فذكر قصة وقعت له مع أحد البائعين.. فقال في معرض حديثه: وهذا البائع ضخم جداً كأنه حمار.. ثم قال: يشبهه (خالد)!! وأشار إلى رجل بجانبه!! فلا أدري كيف صار يشبهه (خالداً).. وهو كأنه حمار!!

وقبل الختام.. هنا سؤال كبير.. هل يمكنك تغيير طباعك لتتناسب مع طباع من تخالطه..؟ نعم..

كان (عمر) ﷺ مشهوراً بين الناس بقوته وصرامته.. وفي يوم من الأيام.. اختلف رجل مع زوجته.. وجاء يسأل (عمر) كيف يتعامل معها.. فلما وقف عند بيت (عمر) ومدّ يده ليطرق الباب سمع زوجة (عمر) تصرخ به.. و(عمر) ساكت.. لم يصرخ.. لم يضرب.. فولى الرجل ظهره للباب وكرّ راجعاً متعجباً.. أحسّ (عمر) بصوت عند الباب فخرج ونادى الرجل:..

◀ ما خبرك؟

◀ قال: يا أمير المؤمنين.. جئت أشتكى إليك امرأتي فسمعت امرأتك تصرخ بك!!

◀ فقال عمر: يا رجل إنها امرأتي .. حليقة فراشي.. وصانعة طعامي.. وغاسلة ثيابي.. أفلا أصبر منها على بعض السوء..



وعموماً: بعض الناس لا علاج له فلا بد من التكيف معه.. يشتكى إليّ بعض الناس من شدة غضب أبيه.. أو بخل زوجته .. أو... فأعرض عليه بعض طرق العلاج فيفيدني أنه جربها كلها ولم تنفع.. فما الحل..؟!

الحل أن يصبر على أخلاقهم.. ويغمر سييء أخلاقهم في بحر حسنّها.. ويتكيف مع واقعه قدر المستطاع.. فبعض المشاكل ليس لها حل..

نتيجة..



معرفتك بطبيعة الشخص الذي تخالطه.. تجعلك قادراً على كسب محبته..

شعرة معاوية!!



كان يُدرّس مادة الرياضيات لطلاب المرحلة الثانوية.. السنة الأخيرة.. كان يلاحظ على عدد منهم الإهمال وعدم المتابعة.. فأراد أن يؤدبهم.. دخل عليهم يوماً.. وأول ما استقر على كرسيه فاجأهم بقوله:

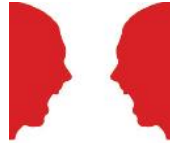
◀ كل واحد يضع كتابه جانباً ويخرج ورقة وقلماً!!

◀ قالوا: لماذا يا أستاذ؟!

◀ قال: اختبار.. اختبار مفاجيء..

بدأ الطلاب بنوع من التذمر ينفذون ما طلب.. ويتهامسون باستياء.. كان من بينهم طالب كبير الجسم صغير العقل.. مشاكس كثير المشاكل سريع الغضب متهور.. صاح بأستاذه:

◀ يا أستاذ.. لا نريد أن نختبر.. نحن بالكاد نجيب ونحن مذاكرون.. بالله كيف إذا كنا ما ذاكرنا؟! قالها الطالب بنبرة حادة..



◀ ثار المدرس وهاج.. وقال: ليس على كيفك.. تختبر غصباً عنك.. فاهم؟! إذا ما هو عاجبك اطلع برا!!!

◀ ثار الطالب.. وطاح: أنت اللي تطلع برا..

◀ توجه المدرس إلى الطالب وهو يصيح ويردد: يا قليل الأدب.. يا عديم التربية.. يا... وأقرب أكثر وأكثر..



نهض الطالب واقفاً.. ثم.. كان ما كان
مما لست أذكره فظن شراً، ولا تسأل عن
الخبر!!

وصل الأمر إلى إدارة المدرسة.. عوقب
الطالب بخصم درجتين وكتابة تعهد بالتزام الأدب.. أما المدرس فصار حديث
القاصي والداني.. وأصبح مضرب الأمثال.. ومثار أحاديث الطلاب في كل
المدرسة.. يمشي في ممراتها ويسمع التعليقات والهمسات.. حتى انتقل بعدها إلى
مدرسة أخرى..

بينما مدرس آخر وقع له الموقف نفسه لكنه أحسن التصرف معه.. دخل على
طلابه.. وفاجأهم بقوله:

◀ أخرج ورقة وقلماً.. اختبار مفاجيء..

وكان من بينهم طالب كذاك الطالب.. صاح:

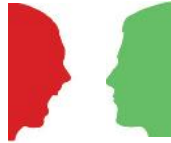
◀ يا أستاذ!! ليس على كيفك..

كان المدرس جبلاً يحس بثقل الرُّجل التي تحاول أن تصعد عليه!! يفهم
أن العصبي لا يقابل بعصبية.. ابتسم ونظر إلى الطالب وقال:

◀ يعني يا خالد ما تريد أن تختبر؟

◀ فقال صارخاً: لا..

◀ فقال المدرس بكل هدوء: خلاص.. الذي ما يريد
أن يختبر نتعامل معه بالنظام..



اكتبوا يا شباب: السؤال الأول: أوجد نتيجة هذه المعادلة: $س + ص = ع + ١٥$..
ومضى يسوق الأسئلة..

◀ لم يصبر الطالب المشاكس وقال: أقول لك ما أريد أن اختبر..



◀ نظر إليه المدرس وابتسم بهدوء..
وقال: وهل ألزمتك أن تختبر.. أنت رجل
ومستول عن تصرفاتك..

لم يجد الطالب ما يثير غضبه أكثر..
فهذا وأخرج ورقة وقلماً.. وبدأ يكتب الأسئلة
مع زملائه.. ثم بعدها تمت محاسبتها على سوء أدبه عن طريق إدارة المدرسة..

تذكرت هذه القصة الافتراضية وتذكرت المفارقة في القدرة على التعامل
مع المواقف وأنا أتأمل في مهارات الناس على إذكاء النيران وإخمادها.. فالتعامل
مع العصبي بعصبية يؤدي إلى تفجر الموقف واحتدام الخلاف.. فمن الأمور
المسلمة عند العقلاء.. أن من يلاقي النار بالنار يزداد شرراً واحتداماً.. وفي الجهة
المقابلة تجد أحياناً من يُقابل البرود - دائماً - ببرود.. لا تستقيم له الأمور..
فليكن رابطك مع الناس شعرة (معاوية)..

فقد سئل (معاوية) رضي الله عنه كيف استطعت أن تحكم الناس أميراً عشرين
سنة.. ثم تحكمهم خليفة عشرين سنة؟ فقال: جعلت بيني وبينهم شعرة.. أحد
طرفيها في يدي والآخر في أيديهم.. فإذا شدوها من جهتهم أرخيت من جهتي
حتى لا تنقطع.. وإذا أرخوا من جهتهم شددت من جهتي.. صدق رضي الله عنه.. ما أحكمه!!



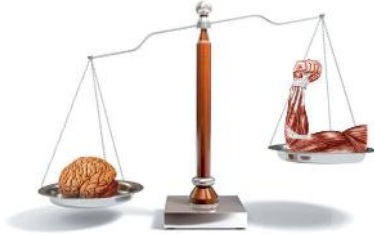
أظن من المسلمات في حياتنا أنه لا يمكن أن
يهنأ بالعيش زوجان كلاهما عصبي غضوب..
كما لا يمكن أن تطول علاقة صاحبين
كلاهما كذلك..

أذكر أنني ألقى محاضرة في أحد السجون.. وكان قدرتي أن تكون المحاضرة
في العنبر الخاص بمرتكبي جرائم القتل.. لما انتهيت من محاضرتي.. تفرقوا إلى
مهاجعهم وأقبل إلي أحدهم شاكراً.. وعرفني بنفسه وأنه المستول عن الأنشطة
الثقافية في العنبر.. سألته عن سبب ارتكاب جريمة القتل عند أكثر هؤلاء..



فقال: الغضب.. الغضب.. والله يا شيخ إن بعضهم قتل لأجل حفنة ريات تخاصم عليها مع عامل في بقالة أو محطة وقود..

تذكرت عندها قول النبي ﷺ: ليس الشديد بالصُّرْعَةِ.. إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب..^(١)



نعم ليس البطل هو قوي البدن الذي ما يصارع أحداً إلا غلبه.. لا.. فلو كان هذا هو مقياس البطولة لأصبحت الحيوانات والوحوش أفخر من الأدميين.. إنما البطل هو العاقل الذي يعرف كيف يتعامل مع المواقف بمهارة.. يتعامل مع زوجته.. أولاده.. مديره.. زملائه.. دون أن يفقد هم.. وفي الحديث: لا يقضي القاضي وهو غضبان..^(٢)



وأمر ﷺ بتدريب النفس على الحلم فقال: إنما الحلم بالتحلم..^(٣) نعم التحلم.. يعني عند كظم الغضب في المرة الأولى ستتعب ١٠٠٪ ولكن في الثانية ستتعب ٩٠٪ ثم في الثالثة إذا كظمت غضبك ستتعب ٨٠٪ وهكذا حتى تتدرب ويصبح الحلم والهدوء عندك طبيعة..

ومن طرائف قصص الغضب أنني ذهبت يوماً لمدينة أملج (٣٠٠ ك جنوب جدة) لإلقاء محاضرة.. كان من بين الحاضرين شاب سريع الغضب ثائر الأعصاب جداً.. هذا الشاب سافر مرة بسيارته ولم يكن مستعجلاً.. فكان يمشي ببطء..

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٣) رواه الدارقطني في الأفراد وهو حسن.

كان وراء سيارة مسرعة تريده أن يفسح لها الطريق.. وهو يزداد بطئاً ويشير لهم بيده أن خففوا السرعة.. ضاق صاحب السيارة الأخرى بصاحبنا ذرعاً.. وتعداه بسرعة وانحرف عليه بسيارته مؤذّباً.. ثم مضى.. ولم يصب أحد منهما بضرر..

ثارت أعصاب صاحبنا - وهي تثور على أقل من ذلك بكثيير - فزاد سرعة سيارته.. وأخذ يصرخ ويزمجر.. ويشير لهم بأضواء السيارة مراراً حتى توقفوا.. فألقى غترته جانباً.. وتناول قطعة حديد - هي في الأصل مفك لفتح براغي العجلات عند الحاجة.. ونزل من السيارة متوجهاً إليهم.. والغضب باد عليه وقطعة الحديد في يده..

فإذا بالسيارة المقابلة ينزل منها ثلاثة شباب قد ضاقت ملابسهم بعضلاتهم.. وتباعدت أيديهم عن جنوبهم من عرض أكتافهم.. أقبلوا يركضون بانفعال إلى صاحبنا.. وقد رأوه تهيأ للقتال!! فلما رأهم انتفض.. وغص بريقه.. وهم ينظرون إليه وإلى ما في يده.. فلما لاحظ أنهم يحدون النظر إلى قطعة الحديد.. رفعها برفق وقال: عفواً.. أردت أن أنبهكم إلى أن هذه سقطت منكم..!! فتناولها أحدهم بانفعال.. وولوا إلى سيارتهم.. وهو يشير بيده إليهم مودّعاً..!!

